أبيات سارت

بها الركبان

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فهذه أبيات جرت بها الألسنة، وتشنفت بها الآذان، وصارت كالأمثال شهرةً، وكالنجوم ظهوراً، أحببت أن أجمعها لتكون للمتأمل متعة، وللمعتزل أنساً، وللعاقل عبرة، ففيها الحكمة الشاردة، والتجربة الواعية، والرأي السديد، وهي خيار من خيار، فقد تمر بي مئات الأبيات فلا أعجب ببيت واحد، وقد أقلب ديوان الشاعر كله فأخرج ببيت واحد يتيم؛ لأن الإبداع عزيز نادر في نتاج البشر؛ ولهذا قلَّ الرواد، وشح الزمان من المبدعين، ومع قصر العمر وكثرة المشاغل كان من الأحسن اختيار الأفضل واطراح المفضول، فخذ من العين نونها، ومن القلب سويداءه. ومع الأبيات الذائعة الشائعة.

عائض القرني

أبيات سارت بها الركبان

إن كـــــان عـندك يـا زمـــــان بـقـــــيـــــة

ممـا يُهـــــان بـهـــــا الـكـرامُ فـــــهـــــاتِـهـــــا

لـــهـــــا عـــيـنٌ أصـــــــــــــابـتْ كـــلَّ عـــينٍ

وعـينٌ قـــــد أصـــــابتـــــهـــــا الـعـــــيـونُ

ألا إن عـــــــــيـنًـا لـم تَـجُـــــــد يـوم واسـطٍ

عـلـيـك بـغـــــالـي دمـــــعـــــهـا لجَـــمُـــودُ

أعـــــــزُّ مـكـانٍ فـي الـدنـا ســـــــرجُ ســـــابـحٍ

وخـــــيـــــرُ جـلـيسٍ فـي الـزمـــــان كـــــتـــــابُ

كـــــذا قـــــضت الأيـامُ مـــــا بـين أهـلـهـــــا

مـــــصـــــائـبُ قـــــومٍ عـند قـــــومٍ فـــــوائـدُ

أقِلُّوا عليهم لا أباً لأبيكم من اللومِ
أو سُدُّوا المكان الذي سَدُّوا

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا
ليوم كريهةٍ وسدادِ ثَغْرِ

هنيئًا مريئًا غيرَ داءٍ مخامرٍ
لعزةَ من أعراضنا ما استحلَّتِ!

سقط النصيفُ ولم تُرِد إسقاطَه
فتناولتْه واتقتْنا باليدِ!

ومَنْ كَمُلت فيه النهى لا يسرُّه
نعيمٌ ولا يرتاع للحَدَثانِ

خذا من صَبَا نجدٍ أمانًا لقلبه
فقد كاد ريَّاها يطيرُ بلبِّه!

عـــيـــونُ المهـــا بـين الـرُّصـــافـــةِ والجـــســـرِ

جَـلَـبْـن الـهـــــوى مـن حـــــيـث أدري ولا أدري!

يـقـــــولـون لـو سـلَّـيـتَ قـلـبَـك لارعـــــوى

فـــــقـلـتُ وهـل لـلـعـــــاشـــــقـيـنَ قـلـوبُ؟!

يـا قـــومُ أذني لـبـــعـض الحـيِّ عـــاشـــقـــةٌ

والأذنُ تـعـــشـقُ قـــبـل الـعـين أحـــيـــانـا!

يـكـون أُجـــاجـــاً دونـكـم فـــإذا انـتـــهـى

إلـيـكـم تـلـقَّـى طـيـــــبَـكـم فـــــيـطـيـبُ

وإنـمـا الـمـرءُ حـــــديـثٌ بـعـــــده

فـكـن حـــــديـثـــاً حـــــسـنـاً لـمـن وعـى

إن ربّـاً كـــفـــاكَ مـــا كـــان بـالأمـسِ

ســـيـكـفـــيـك فـي غـدٍ مـــا يـكـونُ

دقـــــــــاتُ قـلـبِ المـرء قـــــــائـلـة لـه :

إن الحـــــــــيـــاةَ دقـــــــــائـــقٌ وثـــوانـي!

إن العـــــيـــــونَ الـتـي في طـرفـــــهـــــا حَـــــوَرٌ

قـــــتـلْـنَـنـا ثـم لـم يُـحـــــيـينَ قـــــتـلانـا!

ســـــتُـــــبـــــدي لك الأيامُ مـــــا كنتَ جـــاهلاً

ويـأتـيـك بـالأخـــــــبـــــــارِ مَـنْ لـم تُـزَوِّدِ

ألا كـلُّ شـيءٍ مـــــــا خـــــــلا الـلـهَ بـاطـلُ

وكـل نـعـــــيـــمٍ لا مـــــــحـــــــالـةَ زائـلُ

لعـــمـــرك مـــا يُغني الثـــراءُ عن الفـــتى

إذا حـــشـــرجتْ يومـــاً وضـــاق بهـــا الصَّـــدْرُ

وإذا لـثـــــــمتُ يمـيـنَـه وخـــــــرجتُ مـن

أبـــوابـــه لَـثَـــم المـلـــوكُ يمـيـــنـــي!

تفـــــوحُ أطيـــــابُ نجـــــدٍ من ثيـــــابهم

عند القـــــدومِ لقـــــرب العـــــهـــــدِ بالدارِ!

تمتـعْ من شـــــــمـــــــيمِ عَـــــــرَار نجـدٍ

فـــــمـا بعـد العـــــشـــــيـــــةِ من عَـــــرَارِ

أعِـــــدْ ذكـــــر نعـــــمـــــانٍ لنـا إن ذكـــــرتَه

كـــــمـــــا المسك مـــــا كـــــررتَه يتـــــضـــــوَّعُ !

كـــــــأن قـطـاةً عُلِّـقـت بـجـنـاحِـــــــهـــــــا

على كـــــبـــــدي مـن شـدةِ الخَـــــفَـــــقَـــــانِ!

بكت عـــــينيَ اليـــــمنى فلمـــــا زجـــــرتُهـــــا

عن الجـــــهلِ بعـد الحِلْمِ أســـــبلتـــــا مـــــعـــــا!

تـراه إذا مـا جـــــئـــــتَـــــه مـــــتـــــهلِّلاً

كـأنـك تـعـطـيـــــــهِ الـذي أنـت ســـــــائِلُـه!

إذا ســـــاء فـــــعلُ المـرءِ ســـــاءتْ ظنـونُه

وصـــــدَّقَ مـــــا يعـــــتـــــادهُ مـن تَـوَهُّمِ

ومـــن نَـكَدِ الـدنيـــــا عـلـى الحُـــــرِّ أن يـرى

عـــــدواً لـه مـا مـن صـــــداقـــــتِـه بـدُّ!

مَـنْ يَـهُـنْ يسـهـلِ الـهـــــوانُ عـلـيـــــه

مـــا لـــجـــــــــــرحٍ بمـيِّـــتٍ إيـــلامُ

لا خـــــيـلَ عـنـدك تُـهـــــديـهـــــا ولا مـــــالُ

فـلـيُـســعِـد الـنـطـقُ إن لـم تُـسْـعِـد الحـــالُ!

وإذا كـــــانـت الـنـفـــــوسُ كـــــبـــــاراً

تـعـــــبـتْ فـي مـــــرادهـا الأجـــــسـامُ!

لـولا المشـــــقـــــةُ ســـــاد الـنـاسُ كـلُّـهـمُ

الجـــــودُ يُـفْـــــقِـرُ والإقـدامُ قـــــتَّـــــالُ !

إنا لفي زمنٍ تركُ القبيحِ به
من أكثرِ الناسِ إحسانٌ وإجْمالُ

فإن تَفُقِ الأنامَ وأنت منهم
فإنَّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

قد يهونُ العمرُ إلا ساعةً
وتضيقُ الأرضُ إلا موضِعا !

هو الجد حتى تفضُلَ العينُ أختَها
وحتى يكون اليومُ لليومِ سيدا

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ
إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ

خلقتُ أَلَوفاً لو رجعتُ إلى الصِّبا
لفارقتُ شيبي موجعَ القلبِ باكيا !

وليس على الأعقابِ تدمى كلومُنا
ولكنْ على أقدامِنا تقطرُ الدما

ما كلُّ ما يتمنى المرءُ يدركه
تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ

وبشَّرتُ آمالي بشخصٍ هو الورى
ودارٍ هي الدنيا ، ويومٍ هو الدهرُ

إذا اشتبكتْ دموعٌ في خدودٍ
تبيَّن مَنْ بكى ممن تَباكى!

ولستَ بمستبْقٍ أخاً لا تَلُمُّه
على شَعَثٍ، أيُّ الرجال المهذَّبُ ؟!

وكيف تُعِلُّك الدنيا بشيءٍ
وأنت لعِلَّةِ الدنيا طبيبُ ؟!

المجـــــدُ عـــــوفي إذ عـــــوفـــــيتَ والـكـرمُ

وزال عـنـــك إلـــى أعـــــــــــــدائـــك الألَـمُ!

لا يـدرك المجـــــــدَ إلا ســـــــيـــــــدٌ فَـطِـنٌ

بمـا يـشـق عـلـى الـســـــادات فـــــعَّـــــالُ

وإذا لـــــم يـــــكـــــنْ مـــــن المـــــوتِ بـــــدٌ

فـــــمـن العـــــجـــــزِ أن تموتَ جَـــــبَـــــانـا!

وإن لـم تمـت تحـت الـســـــيـــــوف مـكـرَّمـــــاً

تمتْ وتـعـــــانـي الـذلَّ غـــــيـــــرَ مـكـرَّمِ !

ولا عـــيبَ فـــيـــهم غـــيـــرَ أنَّ ســـيـــوفـــهم

بـهـنَّ فـلـولٌ مـن قِـــــــراع الـكـتـــــــائـبِ

نَسَبٌ كـــأن عـلـيـــه من شـــمسِ الـضـــحى

أَلَقـــاً ومـن ضـــوء الـصـــبـــاح عـــمـــودا

كـــــــــأنـهـم يَـرِدون المـوتَ مـن ظَـمَـــــــــأٍ

أو يَـنْشُـــــــقُـــــون مـن الخِـطِّـي رَيْـعـــــانـا!

يســـــتـــــــعـــــذبون مـنـايـاهـم كـــــأنـهـم

لا يـخـــــرجـــــون مـن الـدنـيـــــا إذا قُـــــتِـلوا !

لـو كـــان يـقـــعُـــدُ فـــوق الشـــمسِ مـن كـــرمٍ

قـــــومٌ بـآبـائـهـم أو مـــــجـــــدهـم قـــعـــــدوا!

بـهـــــاليـلُ فـي الإسـلام ســـــادوا ولـم يـكـنْ

لأولـهـــم فـي الـــجـــــــاهـلـيـــــــــةِ أولُ!

دارٌ مـــــتـى مـــــا أضـــحـكتْ في يـومـــهـــــا

أبـكت غـــــداً قُـــــبْـــــحـــــاً لهـــــا مـن دارِ !

الســـــيفُ أصـــــدقُ أنـبـــــاءً مـن الـكـتـبِ

فـي حـــــدِّه الحـــــدُّ بـين الجِـــــدِّ واللـعـبِ!

عـلـوٌ فـي الحـــــيـــــاةِ وفـي المـمـــــاتِ

لحـقٌ أنـت إحـــــدى المـعـــــجـــــزاتِ!

كـــذا فـلـيـــجلَّ الخطْبُ ولـيـــفـــدحِ الأمـــرُ

فـلـيس لـعـينٍ لـم يـفِـضْ مـــاؤهـا عُـــذْرُ

أعـــيـنايَ كُـــفَّـــا عـن فـــؤادي فـــإنـه

مـن الـظُّـلـم ســـعيُ اثـنين في قَـــتْل واحـــدِ!

إن كـــان ســـرَّكُمُ مـــا قـــال حـــاســـدُنا

فـــمـــا لـجـــرحٍ إذا أرضـــاكُـمُ أَلَـمُ!

ويـقـــبـح مـن ســـواك الـفـــعلُ عـنـدي

وتـفـــعـلُـه فـــيـــحـــسُنُ مـنك ذاكـــا !

أتـى الـزمـــانَ بـنوه فـي شـــبـــيـــبـــتـــه

فـــســـرَّهُـمْ وأتـيـنـاه عـلـى هَـرَمِ

طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنت تريدُها
صفواً من الأقذاءِ والأكدار !

أحرامٌ على بلابله الدوحُ
حلالٌ للطيرِ من كلِّ جنسِ ؟ !

وأبيضُ يُسْتسقى الغَمَامُ بوجهِه
ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ

ما في الخيام أخو وجدٍ نطارحُه
حديثَ نجدٍ ولا خِلٌّ نُجاريهِ

أضاءتْ لهم أخلاقهم ووجوهُهم
دجى الليلِ حتى نظَّمَ الجزعَ ثاقبُه

أمرتُهُم أمري بمنعَرجِ اللِّوى
فلم يستبينوا النصحَ إلا ضحى الغَدِ

كـــــفى بـك داءً أن تـرى الموتَ شـــــافـــــيـــــا

وحـــــــسْـبُ المـنـايـا أن يـكـنَّ أمـــــــانـيـا

ثـمـنُ المجـــــــــــــدِ دمٌ جُـــدْنـــا بـــه

فـــــاسـألـوا كـــــيـف دفـــعـنـا الـثـــمنا !

والمســـتـــجـــيـــرُ بعـــمـــرٍو عند كـــربتـــه

كـــالمســـتـــجـــيـــرِ مـن الرمـــضـاءِ بالنارِ!

كـــأن عـــيـنـيك يـومَ الجـــزْعِ تخـــبـــرنا

عـن المحـــبين مـن أســـمـــاءِ قَـــتْـلاك!

كـــأن لم يكن بين الحُـــجُـــون إلى الصـــفـــا

أنـيـسٌ ولـم يســـمـــرْ بمكةَ ســـامـــرُ

أمِـن تـذكُّـــــرِ جـــيـــــرانٍ بـذي سَـلَـمٍ

مـــزجتَ دمـــعًـــا جـــرى من مـــقلةٍ بدمِ؟!

لا تعـــــذلِ المشـــــتـــــاقَ في أشـــــواقِـــــه

حـــــتى يكون حـــــشـــــاكَ في أحـــــشـــــائهِ

أخـــي جـــــــــــــــاوز الـــظـــالـــمون المـــدى

فـــــحُـــقَّ الـــجـــــهـــــادُ وحُـــقَّ الـفِـــــدا

لهـــــا أحـــــاديثُ من ذكـــــراكَ تَشْـــــغَلُهـــــا

عـن الـطـعـــــامِ وتُـلْـهِـــــيـــــهـــــا عـن الـزادِ

ســـأبكيك مـــا فـــاضتْ دمـــوعي فـــإن تَغِضْ

فـــحـــســـبُك منـي مـــا تُكِنُّ الجـــوارحُ

ثـوى طـاهـرُ الأردانِ لـم تـبـقَ بـقـــــعـــــةٌ

غـــداةَ ثوى إلا اشـــتـــهـتْ أنهـــا قَـــبْـــرُ !

ألا أيهـــا الـركبُ الـيـــمـــانونَ عـــرِّجُـــوا

علـينـا فـــقـــد أضـــحـى هَوانا يمـانيـــا !

أُحـــبُّك لا تفـــســـيـــر عندي لصـــبـــوتي

أفـــســـِّـــرُ مـــــاذا والهـــوى لا يـفـــســـَّـــرُ!

يا ليـــتَـــهـــا إذ فَـــدَتْ عـــمـــراً بخـــارجـــةٍ

فـــدتْ عليـــاً بمـن شـــاءتْ من البَـــشَـــرِ !

والـنـاسُ مَـنْ يـلـقَ خـــيـــيـــراً قـــائـلـون لـه

مـــا يـشـــتـــهي، و لأمِّ المخطئ الخَـــبَـلُ!

قـــد يُدرك المتـــأني بعضَ حـــاجـــتِـــه

وقـــد يكونُ مع المســـتـــعـــجلِ الزلَلُ

لا تغـــتـــرِرْ ببـنـي الـزمـــانِ ولا تَـقُـلْ

عـنـد الشـــدائـدِ لـي أخٌ وحَـــمِـــيـمُ

والـنـاس أعـــوانُ مـن دالـتْـــه دولـتـــه

وهـمْ عـلـيـــه إذا عـــادتْه أعـــوانُ

أولئك آبائي فجئْني بمثلهم

إذا جمعتْنا يا جريرُ المجامعُ!

ولا بدَّ من شكوى إلى ذي مروءةٍ

يواسيكَ أو يسليكَ أو يتوجَّعُ

تعوَّدَ بسْطَ الكفِّ حتى لو انه

أراد انقباضاً لم تُطِعْه أناملُه

حلفتُ فلم أتركْ لنفسِك ريبةً

وليس وراء الله للمرءِ مَذْهبُ

وتضحك مني شيخةٌ عبشميَّةٌ

كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا

يُقْضى على المرءِ في أيام محنته

حتى يرى حَسَناً ما ليس بالحَسَنِ

إن الـكـرام إذا مـــــا أيـســـــروا ذكـــــروا

مَـنْ كـــــان يـألفُـــــهم فـي الموطـنِ الخَـــــشِـنِ

اعــذرْ حـــسـودَك فـــيـــمـــا قـــد خُـصِـصْتَ به

إن العُـــلا حَـــسَـنٌ في مـــثلهـــا الحَـــسَـــدُ!

إذا كـــــان هـذا الدمـعُ يجـــــري صـــــبـــــابـةً

على غـــيـــر سُـــعْـــدى فـــهـــو دمعٌ مـــضـــيَّعُ !

ومـــــــا شَـــــــرَقـي بـالماء إلا تـذكـــــــراً

لمـــاءٍ بـه أهـــلُ الحـــــــبـــــــيـبِ نـزولُ!

فـــــبتُّ كـــــأني ســـــاورتْـني ضـــــئـــــيلةٌ

مـن الـرقْـشِ في أنـيـــــابِـهـــــا الـسـمُّ نـاقِـعُ

وصـــــــدرٍ أراح الـلـيـل عـــــازب هـمِّـــــه

تضـــاعفَ فـــيـــه الحـــزنُ من كلِّ جـــانبِ

وإذا المنيـــــــةُ أنشـــــــبتْ أظفـــــــارَها

ألفـــــــيتَ كـــلَّ تميـــمـــــــةٍ لا تـنـفـعُ!

هم يحـــســـدوني على مـــوتي فـــوا أَسَـــفـــا

حـــــتى على الموتِ لا أخلو من الحَـــــسَـــــدِ!

عـــوى الذئبُ فـــاســـتـــأنَسْتُ بالذئبِ إذ عـــوى

وصـــــــوَّت إنســـــــانٌ فكـدْتُ أطيـــــــرُ!

قـــد كنتُ أُشْـــفِقُ من دمـــعي على بَصَـــري

فـــاليـــوم كلُّ عـــزيـزٍ بعـــدكم هانا

إنـي وإنْ لمتُ حـــــاسِـــــدِيَّ فـــــمـا

أُنـــكِـر أنـي عـــــــقـــــــوبـــةٌ لـَـهُـمُ !

ومـن العـــــداوةِ مـا ينـالُـك نفـــعُـــه

ومـن الصـــــداقـــــةِ مـــا يضـــــرُّ ويؤلِمُ !

فـــمـــا أطالَ الـنـومُ عـــمـــراً ومـــا
قـــصَّـــرَ في الأعـــمـــارِ طـولُ السَّـــهَـــرْ

وأنـا الـذي جـلـب المـنـيـــــةَ طـرفُـــــه
فـــمَنِ المطالبُ والقـــتـــيلُ الـقـــاتلُ ؟!

وتجـلُّـدي لـلـشـــــامـــــتين أُريـهِـمُ
أنـي لـريـبِ الـدَّهْـرِ لا أتـضَـــعْـــضَـعُ

فـــصِـــرْتُ إذا أصـــابتْـني ســـهـــامٌ
تـكسَّـــرَتِ الـنـصـــالُ عـلـى الـنِّـصـــالِ

جـــودُ الـرجـــالِ مـن الأيـدي وجـــودُهـم
مـن اللـســـانِ فـــلا كـــانـوا ولا الجُـــودُ!

جـــزى الـلـهُ المســـيـــرَ إليـك خـــيـــراً
وإن تَـــرَكَ المـطـايـا كـــــــالمـــزادِ!

كلُّ الموارِدِ غيرُ النيلِ آسنةٌ

وكلُّ أرضٍ سوى البلقاءِ فيحاءُ

يا من يعزُ علينا أن نفارقهم

وجداننا كل شيء بعدكم عَدَمُ !

وما نُيْلُ المطالب بالتمني

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

تلك المكارمُ لا قعبان من لبنٍ

شيبا بماءٍ فعادا بعد أبوالا

هم القومُ إن قالوا أصابوا، وإن دُعوا

أجابوا، وإن أَعطوا أطابوا وأجزَلُوا

يا قرةَ العينِ سلْ عيني هل اكتحلتْ

بمنظرٍ حَسَنٍ مذ غبتَ عن عيني ؟!

ولي كـــبِـــدٌ مـــقـــروحـــة من يبـــيـــعني

بهـــا كـــبـــداً لـيـــستْ بذاتِ قُـــروحِ؟!

إذا هـمَّ ألـقـى بـين عـــيـنـيـــه هـمَّـــه

وأعـــرضَ عـن ذكـــرِ العـــواقبِ جـــانبـــا

سلِ الـرمـــاحَ العـــوالـي عن مـــعـــالـينـا

واســـتـــشـــهـــدِ البـــيضَ هل خـــابَ الرجـــا فـــينا؟

مـــا أقـــبـحَ الصَّـــبْـــرَ الجـــمـــيلَ

بـعـــاشـــقـــيـكَ وأجـــمـلَكْ!

ولما ادعـــيتُ الحبَّ قـــالت كـــذبْتَني

ألستُ أرى الأعـــضـــاءَ منكَ كـــواســـيـــا؟!

وردْنا على مـــاءِ العـــشـــيـــرةِ والهـــوى

عـلـى مَـلَـلٍ، يـا لـهـفَ نـفـــســي عـلـى مَـلَـلْ!

ألا يا حـــمـــامَ الأيكِ إلفُكَ حـــاضـــرٌ

وغـــصنُك مـــيَّـــادٌ فـــفـــيم تَنُوحُ؟!

فـــقـــد هدَّ قـــدمـــاً عـــرشَ بلقـــيس هدهدٌ

وخـــــرَّبَ فـــــأرٌ عـنـوةً ســـــدَّ مـــــأربِ

يـا عـــــابدَ الحـــــرمـينِ لـو أبـصـــــرْتَـنـا

لـعـلـمـتَ أنـكَ بـالـعـــــبـــــادةِ تـلـعـبُ

ألا لا أرى الأحـــــداثَ مـــدحـــاً ولا ذمـــاً

فـمـا بطشُـهـا جـهـلاً ولا كَـفُّـهـا حِلْمـا

تـفـتُّ فـــــؤادك الأيـامُ فـــــتَّـــــا

وتنحِتُ جـــسـمَك الســـاعـــاتُ نحـــتـــا

أتـيـــأس أن تـرى فَـــــــرجَـــــــاً

فـــــأيـــن الـــلـــهُ والـــقَـــدَرُ؟!

ومـــــا كُـل دارٍ أقـــــفـــــرتْ دار عـــــزةٍ

ولا كلُّ مـــــصـــــقـــــولِ التـــــرائبِ زينبُ !

لـكـلِّ شـيءٍ إذا مـــــا تمَّ نـقـــــصـــــانُ

فـــــلا يـغـــــر بطيبِ الـعـــــيشِ إنســـــانُ

جـــــرتِ الـريـاحُ عـلـى مـــــحـلِّ ديـارِهـم

فـكـأنـهـم كـــــانُوا عـلـى مـــــيـــــعـادِ

ومـــــشـــــتت العـــــزمـــــاتِ ينفقُ عـــــمـــــرَه

حـــــيـــــرانَ لا ظَفَـــــرٌ ولا إخْـــــفَـــــاقُ

لشـــــتـــــانَ مـــــا بين اليـــــزيدين في الـندى

يـزيدِ بـنِ عـــــمـــــرو والأغـــــرِّ بـنِ حـــــاتمِ

ومـــــا كنت أدري قـــــبـل عـــــزَة مـــــا البكا

ولا مـــــوجـــــعـــــات القلب حـــــتـى تولَّتِ!

مـــــتى تأتِه تعـــــشـــــو إلى ضـــــوء ناره

تجـــدْ خـــيـــرَ نارٍ عندها خـــيـــرُ مـــوقـــدِ

إذا مـــــا خلـوتَ الـدهرَ يـومـــــاً فـــــلا تـقـلْ

خـلـوتْ ولـكـنْ قُـلْ عـلـيَّ رقـــــــــيـــبُ!

وإذا أراد الـلـه نـشـــــــرَ فـــــضـــــيـلـةٍ

طُوِيَتْ أتاح لهـــــا لســـــان حـــــســـــودِ

دعِ المقـــــاديـرَ تجـــــري في أعنَّتِـــــهـــــا

ولا تـبـــــيـــــتَنَّ إلا خـــــالـيَ البـــــالـي

على قـــــدرِ أهل العـــــزم تأتي العـــــزائمُ

وتـأتـي عـلـى قـــــــــدرِ الـكـرامِ المـكـارمُ

ومـــــــا حبُّ الـديـار شـــــغـــــفـنَ قـلـبـي

ولـــكـــنْ حـــبُّ مـــن سَـــكَـــن الـــديـــارا!

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَه
والبيتُ يعرفُه والحِلُّ والحَرَمُ

لمعت نارُهم وقد عَسْعَسَ الليلُ
ومِلَّ الحادي وحار الدليلُ

ولو لَمْ يكن في كفِّه غيرُ روحِه
لجاد بها فليتقِ اللهَ سائلُهْ!

اذكرونا مثلَ ذكرانا لكم
رُبَّ ذكرى قربتْ مَنْ نَزَحا

واعلم بأن عليك العارَ تلبَسُه
من عضَّةِ الكلبِ لا من عضَّةِ الأَسَدِ!

أنا ابنُ جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامةَ تعرفوني

لـيس الحـــجـــابُ بمقـص عـنك لـي أمـــلاً

إن الســـمـــاء تُـرجَّى حـين تحـــتـــجبُ

قـــد هيَّـــؤوك لأمـــرٍ لـو فطـنـتَ لـه

فـــاربـأ بـنفـــسِكَ أن تـرعـى مـع الـهَـــمَـلِ

لـو كـنتُ مـن مـــازنٍ لـم تســـتـــبِحْ إبـلـي

بـنـو الـلـقـــيطة مـن ذهـلِ بـنِ شـــيـــبـــانا

مـن راقـبَ الـنـاسَ مـــــات هـمّـــــاً

وفـــــاز بـالـلـذةِ الجَـــسُـــورُ

وفـــي كـــلِّ شـــيءٍ لـــه آيـــةٌ

تـــدل عـــلـــى أنـــه واحـــــــــــدُ

فـــفـي الســـمـــاءِ نجـــومٌ لا عـــدادَ لهـــا

ولـيس يكسفُ إلا الـشـــمسُ والـقـــمـــرُ

والحـــــادثاتُ وإن أصـــــابَك بؤسُـــــهـــــا

فـــهـــو الذي أنبـــاكَ كـــيف نعـــيـــمُـــهـــا

ذكـــرُ الفـــتى عـــمـــرُه الثـــاني، وحـــاجـــتُـــه

مـــا قـــاتَه، وفـــضـــولُ العـــيشِ أشْـــغَـــالُ

فـــــإن كـنتَ لا تـسطـيـع دفـعَ مـنـيَّـــــتـي

فـــــــدعـنـي أبـادرُهـا بمـا مـلـكـتْ يـدي

إذا أنـت أكـــــــرمـتَ الـكـريمَ مَـلـكـتَـــــه

وإن أنـت أكـــــــرمـتَ الـلـئـــــيمَ تمـرَّدا